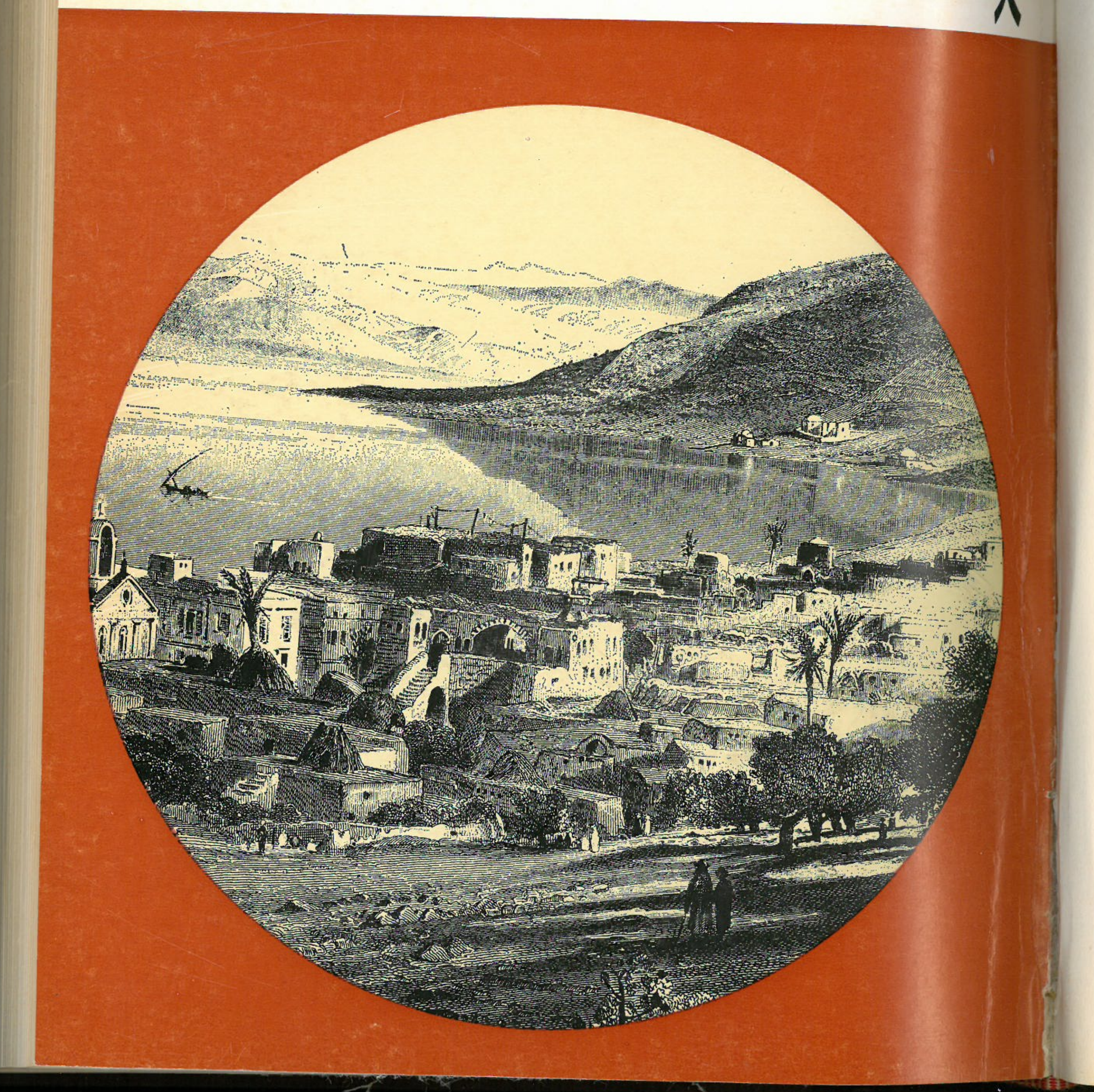
شؤون فلسطينية

نيسان (ابريل) ١٩٧٢

٨



مطبعة الغريب
بيروت

تصف أحيانا بشكل حي وممتع أصـــل المهاجرين اليهود من الروسيا ، وبولونيا ، وبوهيميـــا ، ومورافيا ، والنمسا ، والالزاس — لوريـــن ، والمانيا ، وبلاد كثيرة أخرى ، واسباب هجرتهم ، وجهودهم للبقاء ، وحياة أسرهم ، ومحاولتهم التكيف مع وسطهم الجديد ، ونجاحهم وفشلهم ، والتغير النفساني لليهود في امريكا خلال عشرات السنين . ويقدم قسم السلالات والاسر في المركز مساعدة قيمة للباحثين في حياة اليهود في امريكا ، وكانت أهم هذه الاسر قد استقرت في الولايات المتحدة سنة ١٨٤٠ ، وكان عالم الانساب الوثائقي مالكولم شترن هو الذي اهتم بأشجار نسبهم . ولما كان الكثير من المهاجرين ، خصوصا في العهد الاستعماري ، قد جاءوا من جزر الهند الغربية وأمريكا الجنوبية الى البلاد التي تسمى الان بالولايات المتحدة ، ولما كان أولئك اليهود على صلة تجارية وثيقة ببقية اليهود الامريكيين في باقي بلاد العالم الجديد ، فقد حصل المركز ايضا على وثائق مـــن تلك البلاد ، بلاد المنشأ ، تشتمل على سجلات ، ويوميات ، ووثائق زواج وولادات ووفيات ، وصور ارسلت اليه من جامايكا ، وكوراساو ، وغويانا الهولاندية وغيرها، كما وصلت اليه مواد وثائق هامة من دور الوثائق في اوربا . ويقول المسؤولون عن المركز : « انهم يعرفون ان جلاء الغموض عن هذه الثروة الوثائقية ليس بالامر السهل ، الا انهم لا يزالون في بداية الطريق !... وان لديهم الكثير من الاراضي الجديدة الواجب اكتشافها » .

---

١ — في جلسة العمل الاولى من المؤتمر الدولي الرابع للوثائق الذي انعقد بين ١٧—٢٠ آب (اغسطس) ١٩٦٠ ، قال الممثل الصهيوني : ان (عليهم) الاعتماد على الميكروفيلم بالنسبة للوثائق الموجودة في الخارج ، وطلب مساعدة المؤتمر للحصول على الصور المطلوبة .

٢ — من كلمة المندوب الصهيوني في مؤتمر الوثائق الدولي ٢٥—٢٩ ايلول ١٩٥٦ ، جلسة العمل الرابعة .

٣ — من اقوال الممثل الصهيوني في نفس المؤتمر ونفس الجلسة .

٤ — من اقوال المندوب الصهيوني في مؤتمر الوثائق الدولي الرابع ١٧—٢٠ آب (اغسطس) ١٩٦٠، جلسة العمل الاولى .

٥ — المؤتمر الدولي الاستثنائي للوثائق (واشنطن ٩—١٣ ايار (مايو) ١٩٦٦) ، جلسة العمل الرابعة .

٦ — Modern Archives, Principles and Techniques.

٧ — المؤتمر الدولي الخامس للوثائق ، بروكسيل ١—٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ .

٨ — هكذا يرسل العدو ممثلين عنه الى جميع المؤتمرات الدولية التي يمكن ان يستفيد منها في الحصول على ما يخدم اغراضه ، تحت ستـــار من المساهمة في نشر المعرفة ، واقتراحات تيسير البحث العلمي .

٩ — من توصيات المؤتمر الصهيوني الرابـــع والعشرين المنعقد في القدس سنة ١٩٥٦ .

١٠ — في المؤتمر الدولي السادس للوثائق الذي انعقد في مدريد بين ٣—١٩٦٨/٩/٧ ، أصر ممثل اسرائيل (في جلسة العمل الاولى للمؤتمر) على ضرورةاعطاء صور ميكروفيلم بسعر الكلفة لجميع الوثائق الموجودة في أي بلد دون استثناء .

١١ — للمزيد من المعلومات انظر :
E. Zivier: *Eine Archivalische Informationsreise*, Breslau, 1905.

١٢ — Pinkas haMedinah, *Dubnov*, edition Berlin 1925, (Pour les années 1623-1761).

١٣ — Saalfeld: *Das Martyrologium des Nurnbergen Memorbuches*, Berlin, 1898.

وهو الكتاب الذي نشرته « اللجنة التاريخية للتاريخ اليهودي في المانيا » .

١٤ — Commission on European Jewish Cultural Reconstruction.

١٥ — *Jewish Social Studies*, New York VIII, 1, 1946 (and) X, 1, 1948.

(*) انظر مجلة **الدراسات اليهودية** *Revue des études juives* المجلد الاول : ص ٣٠٣—٣١٧ ، والمجلد الثاني : ص ١١٤—١٢٨ .

١٦ — أصبح متحفا دعي سنة ١٩٤٨ بـ « متحف براغ اليهودي » .

١٧ — Cecil Roth: *Magna Bibliotheca Anglo-Judaica*, London, 1937.

١٨ — Alliance Israélite.

١٩ — Centre de Documentation Juive Contemporaire.

٢٠ — *Dix années d'existence du C.D.J.C.* Paris, 1953.

الممارسات السياسية لوصفي التل

ناجي علوش

سقط وصفي التل ، رئيس وزراء الاردن ووزير دفاعه ، قتيلا يوم ٧١/١١/٢٨ ، برصاص مجموعة من أفراد الثورة الفلسطينية . وكان هذا مفاجأة لكثيرين ، حتى من الذين أثلج قلوبهم مصرعه ، كما كان مفاجأة لوصفي التل ذاته ، الذي كان يردد دائما ، حين يجري الحديث عن التنظيمات السرية، وعن التحسب من اقدامها على القتل والاغتيال : « ابشر بطول سلامة يا مربع » . ومما يدل على أنه لم يكن يتوقع ان يلقى مصرعه في هذا الوقت بالذات سفره الى القاهـــرة ومشاركته في مؤتمر وزراء الدفاع العرب ، مع انه يعلم بحقيقة موقف مصر الرسمي منه ، كما يعلم ما جنته يداه في الاردن . ولكنه ، مع ذلك ، كان يريد ان يستفيد من المؤتمر في تعزيز مواقعه داخل الاردن ، بانهاء العزلة المضروبة عليه عربيا ، وباخراج الاردن من دوامة العزلة التي يعيشها ، بعد مجازر جرش وعجلون ضد آخر مواقع المقاومة في الاردن . وكانت هذه المكاسب تستحق ان يغامر من اجلها .

ومع هذا فانه لم يكن يرى في الموضوع مغامرة للاسباب التالية : ١ — لانه كان يعتقد ان المقاومة الفلسطينية قد انتهت الـــى الابد ، وان بقاياها و« قياداتها » أعجز من ان تقوم بعملية من هذا النوع . ولهذا كان يتحدى دائما . ٢ — لانه كان يظن ان مثل هذه العملية قد يتم في اي مكان الا في القاهرة ، بسبب احتياطات الامن المتوافرة في القاهرة من جهة ، وبسبب حرص الطرف المعني ، اي المقاومة ، على عدم استثارة القاهرة بعملية من هذا القبيل . ٣ — لانه كان لا يفكر بضحاياه بل « بانتصاراته » ، وبالتالي فان كـــل حساباته انحصرت في القشرة ، ولم تغص الى الاعماق .

ولان حساباته جاءت كلها مغلوطة فقد سقط صريعا. سقط في الوقت الذي كان يعد نفسه فيه لان يصبح قائدا على الصعيد العربي ، وفي الوقت الذي كان يسعى فيه لتصفية ذيول سنة من المجازر ، باعادة المياه الى مجاريها بين الاردن والدول العربية . ولقد كان « حساب السرايا غير حساب القرايا » في هذه المرة ، كما يقول المثل الشعبي ، وكما هو دائما . وانتهى وصفي وتحطم غروره على صخرة الجماهير الصلبة .

وتمثل قصة سفره الى القاهرة وأهدافه من السفر شخصيته برمتها . وهي صورة عـــن رحلة حياته كلها ، انها تكشف طموحـــه كما تكشف غـــروره واستهتاره ، تكشف طريقته في التفكير واساليبه في العمل .

عوامل تكوين شخصيتـــه : ولد وصفي في قرية الصريح سنة ١٩٢٠ . وترعرع وسط الصراع في الاردن ما بين الحركة الوطنية الاردنية والسلطة الهاشمية (١٩٢١ — ١٩٤١) . في هذه الفترة وطد الانجليز دعائم الامارة ، أنشأوا لها جيشا ، وفرضوا سيطرتها على البلاد . ولكنهم قاموا من اجل ذلك بضرب الحركة الوطنية ضربات قوية ، ومنها القضاء على انتفاضة العشرين من آب سنة ١٩٢٣ التي قادها سلطان باشا العدوان(١).

وكان مصطفى التل والد وصفي يعيش وسط هذه الدوامة ، فهو يوما ينتقد « العرش الكرتوني » ، ويوما يصبح متصرفا ، ويوما يدخل السجن . وهو خلال هذا كله يتنقل بين الخمارة ومضارب النور . ولمصطفى التل في هذا كله شعر جميل . ولقد عاش وصفي مع ابيه حياته هذه ، ذهب معه الى مضارب النور ، ودخل معه السجن ، وعرف معه ساعات تسنم المناصب .

ولما كان الاب ناقما غاضبا لا ترضيه المناصب العالية ولا تسكت لسانه المكاسب الذاتية عاش هـــو

وعائلته حياة عدم استقرار وشقاء . وانتهت حياته دون ان يكون شيئا غير شاعر كبير .

ويبدو ان الابن احس بفاجعة أبيه . لقد خسر الاب لانه أخذ الموقف المعارض للسلطة . فماذا سيفعل ابنه ؟ اختار ان يذهب للدراسة في الجامعة الاميركية في بيروت ، وكانت الجامعة الاميركية آنذاك لا جامعة ابناء العائلات العربية فحسب ، بل معهد تخريج الحكام والاداريين والسياسيين في الوطن العربي . ولكن وصفي حين تخرج وعاد لم يعط وظيفة بل عمل مدرسا في السلط . وما كان التدريس ليشفي غليل طموحه . ولذلك اختار ان يذهب سنة ١٩٤٢ الى الكلية العسكرية البريطانية في صرفند بفلسطين .

وهذا التغيير بالطبع ليس عفويا ، انه يعبر عن القلق من جهة ، كما يعبر عن الطموح من جهة اخرى . ان التدريس لا يخرج قادة ، ولكن الجيش يخرجهم . خصوصا ان العالم عالم حرب ، وقد اخذ العسكريون يلعبون دورا متزايدا في السياسة. وربما كانت احداث العراق (١٩٣٦ — ١٩٤١) غير بعيدة عن ذهن وصفي .

تخرج وصفي من الكلية العسكرية برتبة ملازم وعمل مع الجيش البريطاني حتى انتهت الحرب ، فنال رتبة رئيس . وفي الجيش عمل في الاستخبارات(٢) ثم عمل ضابط علاقات في لندن(٣). وعمل خلال السنوات ١٩٤٥ — ١٩٤٨ في المكتب العربي بلندن. وكان هذا المكتب قد انشىء سنة ١٩٤٤ في القدس برئاسة موسى العلمي باسم الدعاية للقضية الفلسطينية ، وقام العراق بتمويله ، من اجل خلق حركة موازية للحركة الوطنية الفلسطينية(٤). وحين أخذ جيش الانقاذ في التكون سنة ١٩٤٨ انضم وصفي اليه ، وعمل مع قواته في الجليل مديرا للحركات الحربية ، ثم آمرا للواء الرابع . وبعد توقف القتال عاد الى سورية مثل كل قوات جيش الانقاذ ، وهناك اعتقل . وعندما افرج عنه عاد الى الاردن .

عاد وصفي من رحلته هذه خائبا ، لانه لم يظفر بمنصب او موقع . ولكن تجربته اغتنت . والتقت فيها ثقافة الجامعة الاميركية بخبرات الجيش البريطاني والحياة البريطانية ، كما تجمعت فيها حصيلة سنوات من العمل في مكاتب الدعاية لفلسطين ، ومع المخابرات البريطانية ، وفي العمل العسكري في الميدان .

وصفي يصبح من كادر النظام : التقط النظام ابنه « الشقي الضال » ، بعد ان عاد من رحلته خائبا. ويبدو ان المخابرات البريطانية اوصت به ، خاصة بعد ان اصبح الاردن بشكله الجديد — ضم الضفة الغربية — في حاجة الى امثاله من اصحاب الكفاءات .

بدأ وصفي حياته الجديدة بأن عين مسؤولا في دائرة الاحصاء سنة ١٩٤٩ ، وما لبث ان ترك دائرة الاحصاء الى دائرة ضريبة الدخل ، حيث اصبح مساعدا للمدير ، خلال العام ذاته . وظل هناك حتى سنة ١٩٥٥ ، حيث انتقل مديرا للمطبوعات ، وهي أول وظيفة ذات طابع سياسي يشغلها . لم يبق طويلا في هذا المنصب ، اذ انه انتقل في العام ذاته الى وزارة الخارجية، وعين مستشارا للسفارة الاردنية في بون . وظل هناك من سنة ١٩٥٥ الى سنة ١٩٥٧ . ويبدو انه كان مكلفا بمهمات سرية في بون ، لانه لم يكن سفيرا ، ولا قائما بالاعمال ، ولا موظفا ، بل كان مستشارا .

استدعي وصفي من بون سنة ١٩٥٧ ، وعين رئيسا للتشريفات الملكية حيث قضى فيها قرابة عام . وبهذا يكون وصفي قد نجح في ان يكون مقربا جدا من القصر . ولكن القصر عاد فأرسله سنة ١٩٥٨ قائما للاعمال في السفارة الاردنية في طهران، فبقي حتى سنة ١٩٥٩ ، حينما استدعي والمعركة على أشدها بين الحركة الوطنية العربية والرجعية العربية وعين مسؤولا للتوجيه القومي . وقد شغل هذا المنصب خلال سنتين من الصراع الحاد . وما ان اعترف الاردن بالعراق حتى اختير وصفي ليكون اول سفير للاردن في العراق بعد قيام النظام الجمهوري فيه ، ولكن الحكم في العراق لم يلبث ان طالب بتغييره .

ونستطيع ان نلاحظ ان وصفي كان ينتدب منذ سنة ١٩٥٥ لمهمات خاصة . ذلك ان منصب مدير المطبوعات في سنة ١٩٥٥ ، عندما كانت الحركة الوطنية في بداية عنفوانها ، وكانت المشاريع الاستعمارية ، وعلى رأسها حلف بغداد ، تطبق على المنطقة العربية بكلاليبها ، كان منصبا هاما وحساسا . ولم تكن المهمة التي انتدب لها في بون أقل « خطرا » ، لان بون في السنوات ٥٥ — ٥٧ كانت قد بدأت تلعب دورها الامبريالي باشراف

الولايات المتحدة الاميركية ، وخاض وصفي سنة (١٩٥٧ — ١٩٥٨) المعركة الى جانب القصر في صراعه مع الجماهير ومع الحركة الوطنية . وحينما قامت ثورة ١٤ تموز ، واهتز العرش الاردني ، ذهب وصفي الى طهران ليقوم بدوره في التنسيق مع الرجعية الايرانية ضد العراق الجمهوري .

ولكن المعركة اشتدت ما بين سنة ١٩٥٩ وسنة ١٩٦١ بين الحركة الوطنية العربية ، بقيادة الجمهورية العربية المتحدة وما بين الرجعية العربية . وكان الاردن في خط القتال الاول . ولهذا استدعي وصفي التل ، ليكون رئيسا للتوجيه القومي . وفي هذه الفترة حدث الانفصال . وما ان بدأ النظام في العراق ينحرف ، حتى اختير وصفي ليلعب دوره في دفعه نحو الهاوية ، وفي رفع نطاق العزلة عن الاردن .

وصفي رئيسا للوزراء (٦٢/١/٢٦ — ٦٣/٣/٢٦) :
اصبح وصفي سنة ١٩٦٢ رئيسا للوزراء ، اول مرة، وكان لا يتجاوز الثانية والاربعين، وكان صغير السن ، بالنسبة للذين كانوا يشغلون منصب رئاسة الوزارة في الاردن ، مثل ابو الهدى وسمير الرفاعي ، وابراهيم هاشم . ولكنه جاء في وقت كانت الظروف العصيبة التي يعيشها النظام تقتضي وجوده ، ذلك ان الرجعية عادت الى وضعها الحرج بعد ثورة اليمن ، وبعد مشاركة الجيش المصري في حمايتها . وكانت المعركة التي اخذت تدور على ارض اليمن بحاجة الى وزارة قوية ، يقودها رجل قادر على دخول حلبة الصراع . واكتشف النظام الاردني وقتها رجله ، وكان وصفي التل ، الذي اعتمد عليه النظام خلال السنوات (٥٥ — ٦٢) في تنفيذ مهمات على مستوى كبير من الخطورة . ولكن المهمة التي اوكلت الى وصفي هذه المرة تختلف جذريا عن كل المهمات السابقة ، وهي اكثر خطورة وتعقيدا وارفع مستوى من كل المهمات السابقة .

لقد كان وصفي من اصلب عناصر النظام عودا وأشدها مكسرا ، واكثرها حيوية وعنفوانا ، واغناها خبرة وتجربة . فهو عسكري « مثقف » ، وهو سياسي صاحب تجربة واسعة ، وهو رجعي « واع » ، اختار مكانه وحدد ولاءه ، وقرر ان يكون في جبهة الرجعية ، المهزومة تاريخيا .
واستهدف مجيء وصفي الى رئاسة الوزارة آنذاك غايتين : الاولى : تجديد السلطة وارساؤها على أسس اسلم واقوى ، تجعلها قادرة على مواجهة عمليات التغيير في المنطقة ، وعلى لعب دور أكبر في المنطقة العربية . الثانية : ملء الفراغ السياسي الذي نشأ عن الانفصال وعن انحراف قيادة ١٤ تموز .

ولهذا بدأ داخليا بمحاولة اجراء انتخابات ، تكسب السلطة نوعا من الشرعية ، وأخذت اجهزة النظام تطبل وتزمر للانتخابات النزيهة . ولكن القوى الوطنية قاطعت الانتخابات ، وطالبت الجماهير بمقاطعتها ، فأفسدت أول خطط وصفي عليه(٥). وبدلا من ان ينتزع شرعية جماهيرية للنظام ، قام بعمليات اعتقالات بعد الانتخابات مباشرة ، واتبعها بعمليات اعتقالات أخرى(٦).

وكانت حكومة وصفي المطعمة بالعناصر الشابة قد باشرت بمهمة اصلاح الادارة الحكومية . واستهدفت عملية الاصلاح ما يلي : ١ — جعل دوائر الدولة اكثر كفاية واكثر فعالية ، وذلك لتكون اكثر قدرة على حل مشاكل الناس وتسيير الاعمال . ٢ — زيادة فعالية اجهزة وزارة الداخلية وقوى الامن ووزارة الخارجية ، وهي الاجهزة ذات العلاقة بحفظ الامن داخليا وبالعلاقات مع الخارج. وكانت الغاية من مثل هذه الاجراءات :

١ — استيعاب أكبر قدر من خريجي الجامعات في دوائر السلطة ، وذلك من أجل استقطابهم للسلطة وابعادهم عن الحركة الوطنية . وقد ركز وصفي على ابناء الضفة الشرقية بالذات ، بينما كان الفلسطينيون يهاجرون خارج الاردن للعمل . ٢ — استمالة قطاع واسع من الناس ، بالحديث عن ضرب العناصر الفاسدة في السلطة وتيسير الاجراءات في دوائر الحكومة . ٣ — زيادة قدرة اجهزة الدولة على مواكبة التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أخذت تحدث في الاردن ، وعلى المساهمة في توجيهها .

أما خارجيا ، فقد حاول ان يدعم حكم الانفصال ، وان ينمي العلاقات مع الحكم المنحرف في بغداد . ولكن المفاجأة التي احدثتها ثورة اليمن ، بلبلت مخطط الاردن ، فاضطرت السلطة الاردنية الى ان ترمي بثقلها كله ، سياسيا وعسكريا في المعركة .

وبينما كانت الرجعية العربية تتراجع في اليمن فاجأت حركة الثامن من شباط في العراق والثامن من آذار في سورية حكومة الاردن ، وفشل وصفي التل وحكومته الشابة داخليا ، لان الجماهير اكتشفت

احابيل سياسته فقاطعت الانتخابات . وزادت المعارضة الجماهيرية حدة بعد اشتراك الاردن في حرب اليمن ، حتى ان قائد سلاح الطيران الاردني فر الى مصر ، بكل الخطط التي لديه . كما أن النظام فشل عربيا ، بعد قيام ثورة شباط وثورة اذار[٧] .

وذكرت الصحف ، مع بداية سنة ١٩٦٣ ، ان معارضة وصفي التل ، لم تنحصر في الاوساط الجماهيرية فحسب ، بل امتدت الى البرلمان[٨] . ويبدو أن وصفي كان يلمس منذ بداية سنة ١٩٦٣ معارضة لوزارته فطرحها على الثقة في اوائل العام ، ونالت الثقة بمعارضة ثمانية عشر عضوا ضد أربعين . وحين رد على النواب الذين طالبوا بتنقية الجو العربي اجاب : « لقد مددنا يدنا الى جميع البلاد العربية وعلاقاتنا بها حسنة ، باستثناء مصر » واضاف : لقد طرقنا كل باب محاولين تنقية العلاقات ولكن جهودنا « لم يكتب لها التوفيق لاسباب خارجة عن ارادتنا »[٩] .

وتطرق الملك حسين بعد ايام (٦٣/١٠/١٢) الى العلاقة مع سورية ، فذكر انه يهتم بسورية واستقرارها ، وانه لا مطامع له فيها ، الا انه اضاف « ولكن يهمني ان تكون سورية قوية ، لان آبائي واجدادي خدموا حتى تكون سورية عربية ، وحتى تكون سورية حرة بكل معاني الكلمة » . وألقى وصفي خطابا في مجلس النواب في اليوم ذاته جاء فيه : أ ـ « ان اتفاق الطائف مبني على أساس دراسة قومية عميقة تهدف الى جني ثمار التعاون بين الاردن والسعودية » . ب ـ « أن سيطرة غير الامام على اليمن بعيدة عن المعقول ومستحيلة » . ج ـ « ان مستوى الحريات الذي أتاحته حكومته غير متوفر في اي بلد عربي اخر » . د ـ « ان سياسة الاردن الاقتصادية اساسها الاقتصاد الحر »[١٠] .

وحين حدثت ثورة الرابع عشر من رمضان (٨ شباط) كان تعليق اذاعة عمان : « ان الاردن وهو يؤكد انه غير طامع في اي بلد شقيق ، يؤكد انه على استعداد لمنع اي استغلال في العراق الشقيق وصد الانتهازيين ، مؤديا بذلك واجبه حيال القومية العربية »[١١] . ولكن الاردن ، بعد ارفضاض اجتماع مجلس الوزراء اعترف بالنظام الجديد في العراق . وحين حدثت ثورة الثامن من اذار ارسل وصفي التل يوم ٣/٩ برقية الى صلاح البيطار تتضمن الاعتراف بالنظام الجديد . كما أن وصفي التل عقد مؤتمرا صحافيا في اليوم ذاته قال فيه : « انه يتمنى النجاح للتجربتين الجديدتين في سورية والعراق » . واذيع يوم ٣/١٢ ان الحكومة الاردنية تدرس « الوضع في المنطقة على ضوء الاحداث الاخيرة » .

كان الاردن يشعر بالارتباك ، وبالحصار من جديد ، وبدأ وصفي يحاول التراجع ، فاعترف بالنظام الجديد في العراق ، وبالنظام الجديد في سورية ، وتمنى النجاح للتجربتين الجديدتين ، ولم يفته الى ان يشير في مؤتمره الصحفي يوم ٣/٩ « ان جميع العرب » وهو منهم « لم يكن يعجبهم نمط حكم الامام احمد في اليمن ... »[١٢] .

وما هي ايام (٣/١٦) حتى كان الملك حسين يعلن في مؤتمر صحافي « ترحيبه بالاتحاد العربي الفدرالي » . واضاف « أن الوحدة العربية محتومة ، وان الاردن يرحب بدخول مثل هذا الاتحاد »[١٣] . وكانت مباحثات تجري انذاك بين وفود مصر وسورية والعراق من اجل انشاء اتحاد ثلاثي .

ولكن هذا كله لم يسند حكومة وصفي التل التي كانت الارض تميد من تحتها ، ومن حولها ، ولذلك قدمت استقالتها يوم ٣/٢٧ مشيرة في كتاب الاستقالة الى أن ما جد « من احداث تستدعي النظر في تقدير الموقف العام وقيام حكومة جديدة تضطلع بمسؤوليات هذا التقدير ... »[١٤] .

ولذلك ، فبعد قيام ثورة الثامن من اذار بثمانية عشر يوما استقال وصفي التل ، وانتهت فترة وزارته الاولى . ومع انه لم يستطع ان يحقق مهماته الا أنه استطاع ان يدخل التحديث الى السلطة ، وان يستوعب بعض الكوادر الجيدة من ابناء الضفة الشرقية ، وان يوجه ضربة الى الحركة الوطنية .

مرة ثانية وصفي رئيس للوزراء في ٦٥/٢/١٣ .

استقال يوم ٦٥/٢/١٣ بهجت التلهوني رئيس وزراء الاردن وكلف وصفي التل مرة اخرى . لقد عاد التل فلماذا عاد ؟ عاد ليكمل الشوط الذي بدأه سنة ١٩٦٢ . وكانت هنالك من الظروف الجديدة ما يقتضي عودته . واهم هذه الظروف : اولا : تفسخ جبهة القوى القومية ، بالصراع الذي بدأ سنة ١٩٦٣ بين البعث وعبد الناصر ، وبسقوط حكم البعث في بغداد . ثانيا : بداية نوع من الاستقرار في الوطن العربي ، بعد مؤتمر القمة العربي الاول والاتفاق على انهاء الحرب في اليمن وقيام منظمة التحرير الفلسطينية . ثالثا : قيام منظمة التحرير الفلسطينية والبدء باقامة هيكلها السياسي والعسكري وعلاقاتها الفلسطينية والعربية والدولية . رابعا : بدء النشاط المسلح لقوات العاصفة في الاول من يناير سنة ١٩٦٥ . خامسا : بدء اسرائيل بتحويل مجرى نهر الاردن واتفاق الدول العربية على مشروع تحويل الروافد .

وكان هذا كله يستلزم : ١ ـ حكما قويا في الداخل ، ٢ ـ نشاطا فعالا على الصعيد العربي . ٣ ـ علاقات عالمية تؤمن الدعم المستمر والحماية المستمرة .

ولهذا جاء وصفي ، وقد ارتكز كتاب تكليفه على ثلاثة مبادىء : ١ ـ « القيام باصلاحات جذرية بعيدة المدى في الداخل تستهدف موارد الاردن في كل المجالات ، بحيث تحقق المجتمع المتقدم والرخاء والرفاهية لكافة المواطنين . ٢ ـ تعميق التضامن العربي على الاسس التي تقررت في مؤتمري القمة الاول والثاني . ٣ ـ تنمية العلاقات الودية التي تربط الاردن بكافة الدول الصديقة »[١٥] .

وفي « مبادىء التكليف الثلاثة » ما يكفي لكشف مهمات وصفي الجديدة .

وانطلق وصفي منذ اعلان وزارته للعمل داخليا وفلسطينيا وعربيا ودوليا . فعلى الصعيد الداخلي حاول ان ينجز ما عجز عنه خلال وزارته الاولى . ويمكن تلخيص نشاطاته في هذا الميدان بما يلي :

١ ـ قام النظام بمسرحية حرق اضابير الملاحقات السياسية . وقد أعلن وصفي التل عن حرق ٢٠،٤٨٩ اضبارة امام المواطنين يوم ٣/٩ . تبع ذلك صدور عفو عام عن جميع الجرائم يوم ٤/٤ ، والسماح بدخول اللاجئين السياسيين يوم ٤/٥ واطلاق سراح المساجين يوم ٤/٦ ، واعلن بعد ذلك بأسبوع عن اعادة الجنسية الاردنية لمن أسقطت عنهم[١٦] . قام وصفي التل بهذه المظاهرة ، وهو يظن انها ستكسبه عطفا شعبيا واسعا .

٢ ـ أعلن في ٦٥/٦/٢ عن برنامج السنوات السبع للتنمية الذي يحتاج الى ٢٠٩ ملايين دينار ، منها ٩٠ مليونا للقطاع العام . ولم يمض عام حتى عقد وصفي التل مؤتمرا صحافيا تحدث فيه عن القضايا الاقتصادية . وذكر في بداية مؤتمره ان السنة الاولى من حكمه « كانت من احسن السنوات القياسية والفعالة في كل النواحي » . واضاف : « صحيح انه لم يتم كل شيء وعدنا به ، ولكن كافة المشاريع التي ادرجت في الموازنة ، والتي للحكومة سيطرة تامة على تنفيذها (نفذت) او بدأت بصورة جدية في طريق التنفيذ . واكثرها تم او على وشك التمام » . ولكنه اشار الى ثلاثة استثناءات منها مشروع البوتاس .

ومن المشاريع التي تحدث عنها في مؤتمره مشروع البيت الرخيص ، وذكر ان عطاء البيت الرخيص قد طرح « لدراسته والتوصل الى اسلوب ملائم وأقل كلفة من طرق البناء الحالية » . كما ذكر ان الحكومة ستبدأ خلال مدة قريبة « بالمساعدة في بناء بيوت لذوي الدخل المحدود » . كما تحدث في المؤتمر عن قضية سلم رواتب الموظفين ، واشار الى ان اسباب التأخر في البت فيها راجعة الى عوامل فنية ، منوها الى ان السنة الاولى من حكمه كانت « من السنين الجيدة جدا للموظفين ، فقد اصاب الترفيع عددا كبيرا منهم » . ثم قارن بعد ذلك بين ميزانية السنة السابقة والميزانية الجديدة ، فبين ان الميزانية السابقة « كان التركيز (فيها) على الطرق والخدمات البريدية ، بينما التركيز في الموازنة الحالية على مشاريع المياه والكهرباء » . وأضاف : « أن قضية الخدمات وصلت عندنا حدا يعتز به ، واصبحت على درجة جيدة »[١٧] . وكان قد اعلن قبل ذلك ان بامكان الاردن الاستغناء عن المعونة الاقتصادية ، وعليه فان « القول بأنه في حالة انقطاع المعونة الاجنبية سنصبح كالسمكة بلا ماء هو قول غير صحيح » ، واضاف : « اننا نستطيع ان نستمر ، مع الاعتراف بأن بعض المشاريع الانمائية سيتأخر تنفيذها من جراء ذلك »[١٨] . ثم أكد وصفي التل ان الحكومة الاردنية ماضية في سياسة الاستغناء عن المعونات الاجنبية تدريجا .

٣ ـ أعلنت وزارة وصفي عن عدد من الاصلاحات ، ومنها « نظام يتضمن المعالجة الطبية لعائلات الضباط وافراد القوات المسلحة » و « قانون التأمين الصحي الذي يشمل جميع الموظفين والمستخدمين ، ممن يتقاضون رواتبهم من الموازنة العامة للدولة »[١٩] .

٤ ـ أعلن وصفي التل في مؤتمر صحفي في ٦٥/٦/٦

« ان التدريب العسكري سيكون مادة اساسية في المناهج الدراسية لطلبة الصفوف العليا ، اعدادية وثانوية ، اعتبارا من العام الدراسي القادم » وكان قبل ذلك قد اعلن في ٦٥/٥/١٤ « ان الحكومة الاردنية ستتيح الفرصة لكل المواطنين القادرين على حمل السلاح للتدريب المنظم السريع ، ليصبح كل مواطن جنديا مدربا مستعدا للمعركة »(٢٠).

ه — كان وصفي يتحدث بثقة على ان قوة الاردن زادت سبعة اضعاف ، وعلى ان بامكان الاردن حماية مشاريع التحويل دون دخول قوات عربية ، وعلى ان قرى الحدود مسلحة الخ ...(٢١).

وكان هذا وغيره يستهدف تضليل المواطنين باقناعهم أن السياسة الداخلية صحيحة ، وانها تستجيب لمصالح المواطنين المعاشية والدفاعية والوطنية .

وحاولت وزارة وصفي ان تلعب على صعيد القضية الفلسطينية دور اكثر خبثا . اذ انها سعت من جهة لاحتواء منظمة التحرير ، بينما كانت تقوم في الوقت عينه بمطاردة قوات العاصفة والسعي لاجهاض منظمة التحرير من الداخل والسيطرة عليها .

ويمكن ايجاز الاساليب التي اتبعتها وزارة وصفي التل بما يلي :

١ — مطاردة دوريات العاصفة وملاحقة المتعاونين معها . وقد اعتقل من جراء ذلك عدد كبير ، كما قتل عدد من المقاتلين . وكانت بيانات قوات العاصفة تشير الى ذلك في حينه(٢٢).

٢ — اتباع خطوات فعالة لسحق ارادة الجماهير، ولمنعها من ان تنتظم ، او تتدرب ، او تتسلح ، وللحيلولة بينها وبين الانتماء لمنظمة التحرير او اقامة علاقات معها . وحين انطلقت الجماهير تطالب بالسلاح وبالتدريب وبالتحصين بعد معركة السموع واجهتها السلطة بحملة قمع شرسة ، وحملة اعتقالات واسعة . هذا في الوقت الذي كانت السلطة تعلن فيه ان الجماهير مسلحة ، وان خطة التدريب والتسليح تسير قدما .

٣ — ابراز الاهتمام بقضية فلسطين والفلسطينيين عموما ، وكل القضايا ذات العلاقة . ولقد قام وصفي بالقاء خطاب في مؤتمر المرأة الفلسطينية (٦٥/٧/١٥) ، كما انه القى خطابا امام حشد من الفلسطينيين (٦٥/١٢/١٢) . ولقد اصدر بلاغا بتاريخ (٦٥/١٠/٣١) حول التوعية بالقضية الفلسطينية جاء فيه : أ — عقد اجتماعات شعبية في كل محافظة ولواء وقضاء . ب — اضافة ساعة عمل لموظفي الدولة كي تكون « حافزا الى المزيد من العزم والتصميم والعمل من اجل فلسطين » . جـ — تخصيص الحصة الاولى في كل مدرسة من اجل التوعية الفلسطينية . د — تزويد وزارة الاعلام للصحافة بالمراجع الموثوقة حول القضية(٢٣).

وقام وصفي فوق ذلك بشجب تصريحات الحبيب بورقيبة(٢٤). كما انه اكثر من الحديث عن مشروع تحويل الروافد ومضي الاردن في تنفيذه . كما انه « لزم » اعمال التحويل الى شركة عربية .

وأبدى وصفي بالاضافة الى ذلك اهتماما باحوال قطاعات من الناس . من ذلك مثلا انه امر بالتعويض على المتضررين نتيجة العدوان على قلقيلية (٦٥/٩/٦) . كما انه اجتمع بمدير وكالة الغوث من اجل بحث قضايا منها مطالب العاملين فيها(٢٥) ووجه للوكالة كتابا يطالب فيه باقامة « وحدات سكنية للفلسطينيين المقيمين في براكيات على سيل عمان ، ودعاها للعمل فورا على بناء هذه الوحدات فيموقع حنيكين »(٢٦).

٤ — محاولة احتواء منظمة التحرير ، بالاتصال المستمر بالشقيري ، واظهار العطف والتأييد لها . ولقد صدر قرار بالموافقة على تخصيص ٢٪ من رواتب الموظفين ، مدنيين وعسكريين ، لمنظمة التحرير في ٦٥/٧/٧ . ولكن كل المحاولات لاحتواء منظمة التحرير فشلت ، لان مؤامرات السلطة في الاردن كانت مكشوفة .

وتحدث وصفي التل اكثر من مرة ، مبينا جوانب الخلاف ، وهي تنحصر كما يرى وصفي ، فيما يلي: أ — استثنت مؤتمرات القمة الاردن من أي نشاط لمنظمة التحرير وكان « بوسعنا ان نقول ليس للمنظمة اي عمل في الاردن سوى الوجود المعنوي. الا اننا قلنا : لا بد ان نجد مجالات لا تصلها الجهود الرسمية لتجنيد المنظمة للعمل ، وبدأنا نقترح المجالات » . ب — لدى الاردن عشرات المعسكرات ولا داعي للازدواجية . جـ — اتفقت الحكومة مع الشقيري على تقوية « الدفاع الموضعي » على الخطوط الامامية ، ولكنه عاد فرفض ، بعد ان ذهبت لجنة مشتركة ودرست الموضوع . د — « نغمات صوت فلسطين لا تخدم الا اسرائيل. وسنعامل من يدعو لها كمعاملتنا لعدو ، لان الحشد

للمعركة يستدعي التصميم ووحدة الصف »(٢٧).

هـ — ان حكومة الاردن على استعداد « لاعتبار المنظمة ذراعا من اذرعتنا على ان يكون مفهوما ان كل مواطن في الاردن في ضفتيه الشرقية والغربية مجند في خطة الحشد ... لا حاجة للازدواجية ... ليس من المصلحة التدخل في شؤون سيادة الدولة في هذا البلد ... ان ميدان المنظمة هو التوعية والحشد للفلسطينيين الذين لا تشملهم خطة الحشد ، وان يكون في المجال السياسي في الخارج ... وان عمل المنظمة في الاردن يجب ان يتقيد بقوانين وانظمة البلد ، وان تنقي المنظمة صفوفها من الحزبيين ... »(٢٨).

ولقد استهدف وصفي من هذا كله ان يحكم السيطرة على الفلسطينيين في الداخل والخارج ، وان يخضعهم لخطته ، من خلال سيطرته على الجهاز الذي وافقت عليه الجامعة العربية . وهو بهذا يقودهم الى التصفية في الوقت الذي يوهمهم فيه بأن منظمتهم — كما يريدها — انما تقودهم على طريق التحرير .

وحاول وصفي على الصعيد العربي ان يتجنب الاخطاء التي وقع فيها خلال وزارته الاولى . ولهذا سعى الى ان يقيم علاقات طيبة مع الجمهورية العربية المتحدة خصوصا ، ومع الدول العربية عموما . ولم يكن غريبا والحالة هذه ان يبدأ عهده بزيارة القاهرة في ٦٥/٢/١٥ ، اي بعد يومين فقط لتوليه مقاليد الوزارة . ثم ما لبث ان اعلن يوم ٦٥/٥/٢١ أن عهد الخصومات مع الدول العربية قد ولى الى غير رجعة . وعاد وصفي فزار القاهرة رئيسا لوفد رسمي الى اجتماعات الجامعة العربية (٦٥/٥/٢٥) . كما انه قام بزيارة بلاد عربية أخرى .

وطرح وصفي بعد ذلك مشروعا لاحلال السلام في اليمن ، ويتلخص محتوى المشروع في ١ — حفظ كرامة جميع الاطراف المتنازعة ، ٢ — وضع خطة اعمار لليمن ٣ — ان تؤمن لهذه الخطة حماية عربية وتمويل عربي ٤ — ان تشكل قوة سلام عربية صغيرة لحفظ السلام ، وان تنسحب كل القوات غير اليمنية من اليمن بعد انشاء هذه القوة(٢٩).

وعندما جرى توقيع اتفاق السلام في اليمن رحب وصفي التل به (٦٥/٨/٢٤) ، كما ان وصفي بدا حريصا على توسيع السوق العربية المشتركة وضم دول جديدة الى هذه السوق . وقامت الحكومة الاردنية بالغاء الجوازات ما بين الاردن وسورية في ٦٥/٩/٦ ، كما قامت بسحب جواز سفر سعيد رمضان في ٦٥/٩/١٦ .

ولكن الحكم الاردني كان يعلن اشياء ويضمر غيرها. وكان وصفي دائم الاصرار على عدم دخول قوات عربية الى الاردن بحجة ان لا حاجة الى ذلك ، وان كل القوات العربية تحت القيادة العربية ، وسيكون بامكانها نقل ما تشاء من القوات عندما تكون ضرورة لذلك .

ولان خط الحكم الاردني كان يسير في خط مناقض للحركة الوطنية ، وللقوى الوطنية والتقدمية ، ما لبث النظام الاردني ان اصطدم بسورية ومصر ، كما اصطدم بمنظمة التحرير من قبل . وكان خلال هذا الصدام ان كشف حسنين هيكل كيف سلم وصفي التل بعض وثائق القيادة الموحدة الى المخابرات المركزية(٣٠). ولقد كشف العقيد طلال ابو عسلي، والرئيس الركن محمد الخمارشة ، بعد فرارهما الى القاهرة مؤامرات وصفي التل على سورية(٣١).

لقد كشف وصفي التل هذه المرة ايضا . فعلى الصعيد الداخلي لم تستطع « اصلاحاته » الشكلية ان تقنع احدا بصلاحيته للاستمرار . ولا استطاعت سياسة الانفتاح ان تخفي الوجه العميل البشع ، وخاصة بعد ان بدأت حملة الاعتقالات والتشهير ومحاولات بث روح الهزيمة في صفوف الحركة الوطنية والمواطنين . وعلى الصعيد الفلسطيني لم تستطع كل خطاباته ومساعيه الحميدة ان تمنعه من التكشير عن انيابه واعلان نواياه التي قادته الى سحب الاعتراف بالمنظمة (تموز ١٩٦٦) . وعربيا اصطدمت خططه بالقوى الوطنية ، فاضطر لدخول الصراع وكانت نهايته .

وحين انتهى اجل وزارته كان قد استطاع ان يعيد بناء الجيش على اساس وحدات اصغر من ذي قبل ، بهدف تحويله الى جيش ميكانيكي قادر على الحركة .

وصفي التل : خارج الوزارة : بعد ان استقالت وزارة وصفي التل ، حدثت حرب حزيران . ومع الهزيمة اخذ الامل يتجه نحو قوات الثورة : واخذت الجماهير تهرع اليها . وما لبثت معركة الكرامة ان خلقت جو انتعاش جماهيري ، زاد من فزع الاعداء. كان وصفي في هذا الوقت على الرصيف ، يرى

ويسمع ويحلل ويناقش . ولقد راعه ما رأى وما سمع فطلب مقابلة الملك حسين . وتبادلا الرأي فيما يمكن عمله . ويبدو ان وصفي كان يعرف ما يريد ، لانه وزع مذكرة بعد زيارته للملك تحتوي على وجهة نظره . فما الذي جاء في هذه المذكرة ؟

يرى وصفي التل : « ان انهيار الحكم والنظام في الاردن من اول اهداف الاستراتيجية الاسرائيلية ». ولهذا فهو يريد ان يقضي على : « كل ما من شانه اضعاف مجتمع قرطاجة المقاتل المنتج » .

وهذا يتحقق عن طريق ما يلي : ١ — « تعزيز الجبهة الاردنية الى اقصى الحدود الممكنة . قوات عربية اضافية ، اسلحة ومزيد من الاسلحة ، وعلى الاخص المقاومة للدروع وللجو ، استخدام كل المتوفر من القادرين على القتال . مضاعفة خطوط الدفاع ». ٢ — «قيام مقاومة شعبية...». ٣ — يعاد تنظيم الجيش . تبعا لهذه الترتيبات يلجأ من جديد الى اسلوب مجموعات القتال الصغيرة والسريعة المكتفية بنفسها والصالحة للدفاع المتحرك وللهجوم السريع معا » . ٤ — « يصبح العمل الفدائي ركنا من اركان هذه الخطة ، وعلى هذا الاساس يوحد ، وتنشأ قيادة عليا له ، ويزود بالتخطيط والتدريب والمال والرجال والسلاح ، ويوحد جهده من ضمن المجهود العسكري العام ، ويصعد نشاطه مئات المرات ، حتى يصبح نشاطه موجها للعدو ، وقادرا على التطور الى مرحلة حرب العصابات»[٣٢].

وهنا بيت القصيد ، ذلك ان ما يريده وصفي ، كما هو واضح هنا ، لا يتعدى استيعاب العمل الفدائي، ولكن باسم تزويده بالامكانيات وتوحيده مع الجهد العسكري العام .

وتدل رسالة الملك حسين الى رئيس وزرائه بهجت التلهوني في ٦٨/٩/١٣ على ان الملك كان ينوي تنفيذ ما جاء في مذكرة التل ، لانه ركز في رسالته على قضيتين : الاولى : ان السلطة « ضد الفوضى المدمرة » و « مع التنظيم الهادف المؤدي الى النتائج المؤثرة الملموسة والمطلوبة » . الثانية : ان السلطة عازمة « على تحقيق التنسيق الكامل مع كل العاملين المخلصين للغاية الواحدة والهدف السامي ، ومجابهة كل من لا يؤمن بذلك او يتنكر له»[٣٣].

ومع ذلك فان وصفي لم يأت رئيسا للوزراء . لماذا؟

لان السلطة في الاردن كانت حريصة على علاقاتها بمصر خصوصا وعلاقاتها العربية عموما . ومجيء وصفي يفسد هذه العلاقات .

وظل وصفي يعمل في السر والعلن ، ويدلي بآرائه ونظرياته ، وكان همه الاول الوصول الى السلطة. الا أن الرياح كانت تسير بغير ما يشتهي . ولذلك فانه عند ما تحدث في اربد سنة ١٩٦٩ كان حديثه عاما . ومع انه انتقد الانتهازية وانعدام الجدية وفقدان الذاكرة السياسية الخ الا انه ركز على حقائق اربع وهي : ١ — ان سبب الهزائم المتوالية هو « تصور العقل والخلق عن قيادة المعركة » . ٢ — ان الركن الاساسي في معركة التحرير هو الارادة . ٣ — الايمان بأننا نمتلك « مستلزمات المعركة من حيث العدد والعدة والارض » . ٤ — ان الزمن ليس في مصلحتنا .

ولم يحاول وصفي في ذلك الوقت مناقشة الاوضاع القائمة ، او حتى طرح تصوراته التفصيلية فيما يتعلق بالعلاقة بين السلطة والمقاومة ودور المقاومة في معركة التحرير .

وصفي وعهد المجزرة : قضى وصفي عام ١٩٧٠ ، وخاصة منذ شباط ١٩٧٠ يحوك المؤامرات ويضع الخطط للعودة الى السلطة . لم تكن العودة سهلة هذه المرة ، اذ ان القضية لم تكن هذه المرة ، كما كانت في الماضي . فالجماهير مسلحة ومستعدة وعودة وصفي تعني معركة شرسة دموية . ولذلك كان لا بد من ان تبدأ المعركة اولا ، فاذا ما بدأت وحقق نصرا من وراء الكواليس اندفع الى رئاسة الوزارة . ولذلك كان عندما بدأت المعركة في القصر، وكان يلعب دورا اساسيا الى جانب الملك في قيادة المعركة . ولقد كتبت اللوموند الاسبوعية تصف دوره في احداث ايلول قائلة : «منذ اكثر من سنة بقليل، في ايلول سنة ١٩٧٠ ، عندما كانت المدفعية الاردنية تقصف بدون رحمة مواقع الفدائيين في عمان كان التل يذرع قصر الملك حسين وهو جذل لحقيقة ان المعركة قد نشبت مع الشيوعيين واليهود . وكان في ملابسه الكاكية وبمسدسه على وركه وبشعره المقصوص بموضة الفرشاة ، ينشط بشكل محموم حول الملك حسين عندما خدمه باحترام ، بشكل مباشر ، بكفاءة كمستشار وكمنفذ ...»[٣٤].

وبما ان معركة أيلول لم تحقق للنظام النصر الذي أراده ، فقد فرضت عليه ان يختار من بين ادواته

أصلب عناصره وانشطها واكثرها اندفاعا على طريق الجريمة ليواصل ما بدأته المجزرة ، وهكذا جاء وصفي بعد شهر واحد من وقف اطلاق النار (٧٠/١٠/٢٨) .

وكان مجيء وصفي استفزازا للحركة الوطنية في الاردن ، وللمقاومة ، ولكل الرأي العام العربي. كما كان استفزازا لمصر خاصة . ومع هذا فقد غامر الملك بمجيئه ، لانه كان لا يملك خيارا اخر اذا اراد الاستمرار في المعركة .

وهكذا جاء وصفي وكانت مهمته الاساسية في هذه المرحلة هي : ١ — سحق المقاومة سحقا تاما وتصفية منجزاتها ، واكمال ما بدأ به في ايلول . ٢ — اعداد الاردن لتسوية سياسية ، عن طريق تحطيم معنويات الجماهير وشق صفوف الجماهير الى فلسطيني واردني .

ولقد استخدم من اجل تنفيذ هذا الخطالاستراتيجية والتكتيك التاليين :

اولا : الاعلان المستمر عن ضرورة وجود العمل الفدائي (المقاومة) على ان يكون مكرسا لمحاربة العدو ، وعلى ان تكون العلاقات محددة بينه وبين الدولة على اسس صحيحة . وذلك من أجل تخفيف عداء الجماهير ، وتحييد قطاعات واسعة من التجار والبرجوازية الصغيرة في المدن خاصة ، ولاقناع قواعد الجيش ان العمل ليس موجها ضد العمل الفدائي بل ضد « الفوضى والشغب وضد المندسين الخ » .

ثانيا : الاعلان المستمر عن التمسك باتفاقية القاهرة وعمان والمطالبة المستمرة بتطبيقهما ، والادعاء بأن المقاومة هي الطرف الذي لا يلتزم بهما .

ثالثا : محاولة اقناع مصر خاصة ، والدول العربية عامة بأن الاردن ملتزم بالاتفاقيات ، وحريص على تنفيذها من اجل وحدة الجهد العربي والارادة العربية .

رابعا : اتباع استراتيجية « القضم » في ضرب مواقع المقاومة ، والادعاء ، دائما ، وبعد كل عملية ، بان الهدف هو تنفيذ اتفاقيتي القاهرة وعمان .

خامسا : اظهار الحرص ، امام الجماهير في الداخل ، على ان السلطة تنوي العمل لاعادة الامن والاستقرار والازدهار الاقتصادي ، وبأنها متمسكة بالاتفاقيتين المذكورتين وحريصة عليهما .

بدأ وصفي عملياته على اساس هذه الاستراتيجية. فقام اولا بمحاولة اقناع المعنيين بأنه حريص على عودة الازدهار الاقتصادي ، بعد أشهر من « خراب البيوت » . وبث وصفي هذه الاشاعة ، وما عتمت الصحف ان رددتها حتى ان ياسر حجازي كتب : « لو استمرت الحكومة المستقيلة اسبوعا اخر لباع الناس ما يملكون بالمزاد العلني . فالجمود الاقتصادي الذي اصاب مرافق الحياة في هذا البلد دفع قطاعا من المواطنين الى مغادرة الاردن ، بعد ان تداول الناس ما معناه انه لم تعد توجد اعمال او نشاط اقتصادي او حركة تجارية ... »واضاف: « ويبدو أن الحكومة الجديدة وضعت يدها على جراح الناس ، فذكر ان الدولة في سبيل دفع حركة الاقتصاد وقررت ان تفتح عطاءات في هذين اليومين بما قيمته مليون دينار ...»[٣٥].

وقام وصفي ثانيا بمحاولة اقناع الجماهير بانه حريص على عودة الهدوء والاستقرار . ولم يطرح هذا للرأي العام الداخلي فحسب ، بل للرأي العام العربي ايضا . وكان يهمه ان يؤكد ان الحكومة الاردنية « جادة في اعادة هيبة الامن ، وهي تتخذ من هذا الاتجاه كل الاجراءات مع استمرار تقيدها باتفاق القاهرة وعمان ...»[٣٦].

ولكن وصفي في الوقت عينه حرص على ان يبث الرعب في حياة الناس ، وان يفتعل الصدامات ، وان يبعث الشعور لدى الناس بالقلق والخوف من المستقبل .

وكانت الصدامات الاولى في عمان خاصة والمدن عامة نتيجة لمحاولة الجيش العودة الى الشوارع والاحياء ، ونتيجة لاستفزازاته المستمرة لهم . ولم يكتف وصفي بمحاولة اعادة المخافر القديمة ، بل حاول ايضا اقامة مخفر جديد او اكثر في كل حي . ولقد كانت الخطة ان تحتل هذه المخافر الاماكن المسيطرة ، وان يحشد فيها عدد كبير من الجنود ، المسلحين جيدا والمعززين برشاشات الـ ٥٠٠ ومدافع الهاون .

وفي نوفمبر ١٩٧٠ حدث الصدام في جبل النظيف ، حين حاول الجيش اقامة مخفر هناك . وفي أوائل كانون الاول (٧٠/١٢/٦) بدأت الصدامات في جرش وحولها ، من اجل احكام السيطرة على الطريق الاستراتيجية التي تربط عمان بالشمال .

وبعد هذه الصدامات مباشرة طرح موضوع تجميع الاسلحة . ولما لم تثمر الاتصالات قام الجيش في ٧٠/١٢/٢٥ بهجوم على مواقع المقاومة في القطاع الاوسط (السلط) من اجل تعزيز السيطرة على الطريق الاستراتيجي وعزل عمان عن الشمال (اربد — احراش جرش — عجلون) .

وافقت قيادة المقاومة على تجميع الاسلحة ، وكان وصفي حريصا على ان يشعرها بأنه يستهدف من ذلك تطبيق الاتفاقيات من جهة ، وعودة الهدوء والاستقرار من جهة ثانية ، كما كان يشعرها انه لن يتردد في اتخاذ أقسى الاجراءات عند عدم التنفيذ .

وقبل ان تبدأ المقاومة في تنفيذ خطة تجميع الاسلحة، وهي خطة التسليم والانهيار ، بادر وصفي الى احتلال الرصيفة (٧١/١/٨) ، وهي تربط ما بين عمان والزرقاء ، وكانت قد صمدت خلال احداث ايلول ولم تسقط . وما لبث تجميع الاسلحة أن بدأ. وكانت وزارة وصفي في هذه الاثناء قد نالت الثقة (٧١/١/٤) . وتحدث وصفي في جلسة الثقة هذه فأكد « انه تمت اعادة النظام والهدوء والطمأنينة الى كل انحاء مدينة عمان تقريبا باستثناء امكنة معدودة ، يجري تطويق الوضع فيها بكل هدوء وصبر من قبل الحكومة واللجنة العربية العليا للمتابعة » واضاف مهددا : « ان الصبر والهدوء ضروريان في هذه الفترة الحساسة بالذات ، لكن هذا لن يدوم الى ما لا نهاية ... » .

وقال ، لكي يبرر عمليات الضرب اللاحقة ان هناك فئات معينة « لا تمت الى العمل الفدائي بصلة أو الى الوطن بصلة » . وهذه الفئات هي سبب المشاكل والفوضى . واضاف قائلا : « اننا نستطيع في مدة قريبة اجتثاث كل سبب يعكر هدوء المواطنين وصفوهم » . وتطرق في نهاية حديثه الى الوضع الاقتصادي ، ووعد ان تسارع الحكومة الى توفير المناخ الصالح للتطور الاقتصادي والتجاري في البلاد بعد عودة الامن والنظام[٣٧] .

وأعرب بعد الاستيلاء على الرصيفة ، عن ان « الحكومة تحرص كل الحرص على العمل الفدائي المنظم، ومد يد العون اليه في كافة المجالات، وعلى كل المستويات التي تضمن المنجزات الايجابية التي تخدم معركة التحرير»[٣٨]. وكان الهدف من هذا التصريح التغطية على العمليات السابقة وتخفيف وقع العمليات اللاحقة . ولكنه كان في هذا الوقت قد بدأ يصرح بأنه لن يسمح للفدائيين بالقيام بأعمالهم الا من الارض المحتلة (٧١/١/٢٦)[٣٩].

وواصل وصفي مخططه ، فركز على ضرورة تجميع اسلحة الميليشيا من جهة ، كما أنه واصل عملية التطهير من جهة اخرى . ولقد قام خلال شهر شباط بعمليتين هامتين : اولاهما : مداهمة مخيم سوف قرب جرش على طريق عمان — اربد ٧١/٢/٤ ، وثانيتهما : احتلال حي الهملان (١١—٧١/٢/١٧) بعد معركة دامية[٤٠].

وبهذا كان وصفي قد حقق ما يلي : اولا ، حصر قدرا من اسلحة الميليشيا في مراكز تجميع معروفة. ثانيا ، شكك العناصر بقيادتها . ثالثا ، عزل اربد عن عمان ، واضعف كلا من من اربد وعمان ، بادخال الاف من الجنود اليهما ، وباحتلال المواقع الاستراتيجية فيهما ، وبتطهير مناطق كاملة داخلهما وحولهما . رابعا ، سيطر على طريق عمان — الشمال سيطرة كبيرة ، وان كانت غير تامة . وبعد هذا قام بالهجوم على اربد يوم ٣/٢٦ فسقطت بعد ثلاثة أيام من القتال الضاري .

وهنا بقيت عمان المطوقة . فطرح على قيادة المقاومة ان تخلي عمان من السلاح . وبعد قليل من الاخذ والرد اخليت في منتصف نيسان ، وانتقل المسلحون الى احراش جرش وعجلون .

وكانت هذه الخطوة ذروة انتصارات وصفي التل، لانه اخرج المقاومة راكعة من عمان ، ولذلك فقد صرح : « لقد كانت عمان مفتاح قضية الامن في الاردن ، وكان اختلال الامن والطمأنينة فيها السبب المباشر والوحيد لكل التشنجات ولكل الاجراءات الاستثنائية الناتجة عنها »[٤١]. واعتقد وصفي التل ان الموافقة على الخروج من عمان وضعت المقاومة بين يديه ولذلك راح يؤكد ، انه « ليس هنالك من حدود لرعاية العمل الفدائي وتأمين الحرية لدعمه وتوفير كل المجالات لنصرته واتجاهه الاتجاه الصحيح ... »[٤٢].

ومع هذا فما ان عقد أول اجتماع بين السلطة والمقاومة ، بعد اخلاء عمان من الاسلحة ، وبعد التصريح المذكور اعلاه ، حتى طالبت السلطة المقاومة باخلاء مناطق من أحراش جرش وعجلون. كان وصفي يريد ان يستمر في عملية القضم . ورفضت المقاومة ، فأعلنت المنطقة منطقة سياحية

رسميا ، ولم يلبث الملك حسين ان اعلن « ان اتفاقيات القاهرة وعمان والاتفاقيات المنبثقة عنها كانت عبارة عن مراحل ونقاط على الطريق»[٤٣]. أصبح الهدف الاخير لحملة وصفي التل احراش جرش وعجلون . فأخذ يمهد للعملية الاخيرة . ولذلك قام بعملية مطاردة واسعة النطاق في المدن، لكل العناصر المناضلة ، واخذ يناوش القوات المرابطة في الاحراش . وفي منتصف تموز أجهز عليها اجهازا تاما[٤٤].

ما بعد جرش وعجلون :

وهنا بدأ وصفي مرحلة جديدة من مخططه . لقد أصبح « سيد » الاردن ، ولكن هنالك الكثير من المشاكل التي تواجهه ، من هذه المشاكل بقايا حركة المقاومة وروح المقاومة لدى الجماهير . ومنها احساس بضرورة منع العزلة عن الاردن عربيا ، ومنها شعوره بضرورة خلق «تنظيم شعبي» يسانده في تثبيت اقدامه وتحقيق مهماته .

ولقد حاول ان يحل المشكلة الاولى بتقوية الجيش وزيادة سيطرته باتباع اساليب القمع الشرسة . ولذلك بدأ بالاضافة الى الاعتقالات والمحاكمات وعمليات الارهاب وشراء الضمائر ، عمليات الاعدام المعروفة . وفي اواخر ايار اقيم عرض عسكري في عمان . أما المشكلة الثانية فحاول ان يحلها عن طريق الاتصالات المستمرة والوفود والرسائل . وحين طرحت الدول العربية موضوع المصالحة تلقفها الاردن الرسمي ، لانه اعتبرها مدخله الى مصالحة مع الدول العربية على حساب المقاومة . وسعى وصفي الى أن يحل المشكلة الثالثة عن طريق خلق الاتحاد الوطني الاردني الذي بدأ الحديث عنه في آب[٤٥]، وما لبث ان أنشىء واعتمد . ولكن وصفي سقط صريعا قبل أن يتمكن من بدء تنفيذ مهمته الحقيقية ، وهي بدء عملية تسوية القضية الفلسطينية ، بعد أن قطع شوطا على طريق تصفيتها .

قائد من قادة الثورات المضادة : كان وصفي التل قائدا من قادة الثورات المضادة . وهو شخصية مماثلة لشخصية نوري السعيد ، مع اختلاف العهدين ، ان نوري قائد الثورة المضادة في عهد الاستعمار، أما وصفي فهو من قادة الثورة المضادة في عصر الامبريالية .

فلقد كان رجعيا ، معاديا عنيدا للشيوعية وللحركات الوطنية ، ولكنه مع ذلك كان مع تحديث الدولة ، ومع اقامة أجهزة سياسية وعسكرية فعالة وكفوءة. وكان مع تطوير الاقتصاد من منظور رأسمالي ، مع زيادة الدخل ، ومع رفع مستوى المعيشة . وهو في ذلك يدافع عن قضية واحدة هي النظام . ولقد كان يعتبر ان هناك عدوين او خطرين هما : الشيوعية والفقر[٤٦]. وكان يرى « ان كفاح هذين الخطرين يعتمد اولا على التمسك بمعتقداتنا الدينية والقومية ومعتقدات تراثنا العربي » . ويعتمد ثانيا على « المزيد من الانتاج ، وهو لا يأتي الا مرتكزا على الحرية والابداع الفردي » . وما كان يدفعه الى اعتبار الفقر خطرا ، ليس احساسه بحاجة الفقراء ، بل خوفه ان يصبح الفقراء ثوارا .

وكان وصفي من أجل أن يأتي بحكومة فعالة من وجهة نظره يأتي عادة بحكومة من الشباب ، ويدخل في الوزارة اعضاء جددا ، بعضهم حزبيون سابقون، مثل انيس المعشر وابراهيم حباشنة . وكان هذا يستهدف ايجاد اجهزة حكومية اكثر تنورا ، قادرة على تحقيق بعض النجاحات في مجال تضليل قطاعات من الجماهير .

ولم يكن وصفي يخطط على نطاق الاردن ، بل على نطاق المشرق العربي كله . ولقد اجرى اتصالات مع قيادات وطنية سابقة من أجل اعداد مشروع لسورية والعراق . وكان بعض المقربين اليه يعلنون أن تحرير فلسطين لا يكون عن طريق المقاومة ، بل عن طريق خلق دولة قوية في سورية والعراق. ولهذا بدأ مخططا لزيادة عدد أفراد الجيش الاردني ، لتحويله كله الى جيش ميكانيكي محمول، ولقد قطع شوطا ، بعد ايلول ، على هذه الطريق .

ولكن وصفي التل كان يعلم أنه لن يستطيع المضي في مخططه الا اذا توافر له ما يلي : **اولا :** سقوط المقاومة نهائيا ، ولهذا وسع عمليات المطاردة والتشهير ، داخل الاردن ، وزاد من عمليات التحريض والدس والوقيعة خارج الاردن . وكان يعمل ليل نهار من أجل انهاء الوجود الفدائي في سورية ولبنان بكل ما يستطيع ، لانه كان يشعر بأنه سيبقى مطاردا في الاردن ما دام العمل الفدائي موجودا . كما أنه عمل بكل ما يستطيع احداث تفجيرات داخل حركة المقاومة ، وكان يتوقع ان يحدث ذلك في اكتوبر ١٩٧١ **ثانيا :** تحسين

العلاقات مؤقتا مع الدول العربية عامة ، ومع مصر وسورية خاصة ، وذلك من أجل انجاز المهمة الاولى ، وهي تصفية المقاومة الفلسطينية وبناء الجيش وتسليحه واعداد « العملاء » في البلاد العربية المجاورة . **ثالثا** : اعادة المعونة العربية، الموقوفة عن الاردن ، لانه يستطيع بواسطة هذه المعونة ان يحسن الوضع الاقتصادي ، وان يزيد قدرته على تلبية حاجات المخطط الذي يعمل له داخليا وخارجيا .

ومن أجل هذا كله ذهب الى القاهرة . وهناك سقط برصاص الذين قرروا ان تبقى المقاومة الفلسطينية ، رافعة مشعل التحرير .

وبسقوطه سقط قائد من قادة حرب العصابات المضادة ، مؤهل لمحاربة الحركة الوطنية بعنف وشراسة ودهاء ، وقادر على المراوغة والتضليل واستقطاب قطاعات البروقراطيين والتكنوقراطيين والتجار ، بل العشائر والرجعيين الاقحاح .

ولقد سقط عندما حاول ان يخرج من قمقمه ، وان يرفع عنه طوق الحصار العربي .

---

١ — يراجع :
الزركلي ، خير الدين : **عامان في عمان** ، مكتبة العرب بالفجالة ، ١٩٢٥ .
سعيد ، امين : **الثورة العربية الكبرى** ، المجلد الثالث ، عيسى الباني الحلبي .
صايغ ، انيس : **الهاشميون وقضية فلسطين** ، بيروت ، ١٩٦٦ .
٢ — **الديلي تلغراف** ١٩٧١/٧/٢٩ .
٣ — **التايمز** ١٩٧١/١١/٢٩ .
٤ — علوش ، ناجي: **المقاومة العربية في فلسطين** (١٩١٧—١٩٤٨) .
٥ — **الحرية** ، الاعداد : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، تاريخ ٥ و١٥ و١٩٦٢/١١/٢٦ .
٦ — **الحرية** ، العددان : ١٤٨ ، ١٦٢ ، تاريخ ٦٢/١٢/٣ و ١٩٦٣/٣/١٨ .
٧ — **الحرية** ، العدد ١٦٤ ، ١٩٦٣/٤/١ .
٨ — **الحوادث** ، العدد ٣٢٢ ، ١١ ك٢ ١٩٦٣ .
٩ — **الوقائع العربية** ، كانون الثاني — آذار ١٩٦٣ ، الجامعة الاميركية في بيروت ، ٦٣/١/١٣ ص ١ .
١٠ — **الوقائع العربية** ، المرجع السابق ، ص ٢ .
١١ — **الوقائع العربية** ، ٢/٩ ، ص ٤ .
١٢ — **الوقائع العربية** ، ٣/٩ ، ص ٥ ، ٣/١٢ ، ص ٥ .
١٣ — **الوقائع العربية** ، ٣/١٦ ، ص ٦ .
١٤ — **الوقائع العربية** ، ٣/٢٧ ، ص ٦ .
١٥ — **الوقائع العربية** ، (كانون الثاني — آذار) ١٩٦٥ ، الجزء ١ ص ٥ .
١٦ — **الوقائع العربية** ، المرجع السابق ، ص ٧، نيسان — حزيران ، ص ١ و٢ .
١٧ — **الوثائق العربية** ، ١٩٦٦ ، الجامعة الاميركية ، ص ٢٨٥ ، تاريخ ١٩٦٦/٥/٧ .
١٨ — **الوقائع العربية** ، (٢) ص ١٣ و١٧٣ .
١٩ — **المرجع السابق** (٢) ، ١٩٦٥/٥/٣٠ ، ص ١٧٧ و**المرجع السابق** (٣) ١٩٦٥/٨/٢١ ، ص ٣٤٩ .
٢٠ — **المرجع السابق** ، (٢) ص ١٧٥ وص ١٧٨ .
٢١ — **المرجع السابق** (٤) ص ٥٢٩ و**اليوميات الفلسطينية** ، ٩/٢٥ ، ص ١٣٧ و**الوثائق العربية** ١٩٦٦ ، ١٩٦٦/١١/٢١ ، ص ٨١٦ .
٢٢ — **قرار اتهام ضد وصفي التل** ، ملف مركز التخطيط ، ص ٢٣—٢٤ .
٢٣ — مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، **اليوميات الفلسطينية** ٦٥/٧/١ — ٦٥/١٢/٣١ ، ٦٥/١٠/٣١ ، ص ١٩٩ .
٢٤ — **الوثائق العربية** ١٩٦٦ ، ٦٦/٣/١٠ ، ص ١٥٢ .
٢٥ — مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، **اليوميات الفلسطينية** ، المرجع السابق ، ٦٥/١٠/٢٦ ، ص ١٨٩ .
٢٦ — مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، **اليوميات الفلسطينية** ، المرجع السابق ، ٦٥/١٠/٢٦ ، ص ٢٢٦ .
٢٧ — مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، **اليوميات الفلسطينية** ، المرجع السابق ، ٦٥/١٠/١١ ، ص ١٥٩ .
٢٨ — **الوثائق العربية** ، المرجع السابق ١٩٦٦ ، ٦٦/٧/٤ ، ص ٤١٧—٤١٨ .
٢٩ — **الوقائع العربية** ، المرجع السابق (٢) ، ٦٥/٦/٢١ ، ص ١٨٠ .
٣٠ — هيكل، محمد حسنين : خطط القيادة الموحدة ومن سلمها للرجل القبيح ، **الاهرام** ، السنة ٩٢ ، العدد ٢٩٢٣٢ ، ١٩٦٦/١٢/٢٣ .
٣١ — **قرار اتهام ضد وصفي التل** : المرجع السابق ، ص ٢٤ .
٣٢ — مؤسسة الدراسات الفلسطينية : **الوثائق الفلسطينية لسنة ١٩٦٨** ، وثيقة رقم ٥٤٩ ص (٦٢٣—٦٢٧) .
٣٣ — **المرجع السابق** ، وثيقة رقم ٦٠٢ ، ص (٧١١—٧١٩) .
٣٤ — **لوموند** الاسبوعية ١٩٧١/١٢/٤ .
٣٥ — **عمان المساء** ، ١٩٧٠/١١/٢ .
٣٦ — **النهار** ، ١٩٧٠/١٢/٢١ .
٣٧ — **النهار** ، ١٩٧١/١/٥ .
٣٨ — **الدستور الاردنية** ، ١٩٧١/١/١٢ .
٣٩ — **قرار اتهام ضد وصفي التل** ، صادر عن مركز التخطيط ، ص ٨٩ .
٤٠ — زار وصفي التل وفد من المقاومة ، بعد حادثة الهملان مباشرة، واستنكروا امامه المجزرة التي حدثت ، فقال لهم : ان ما يهمني بالنسبة لما حدث هو عدم تنفيذ الخطة كما رسمت فقط .
٤١ — **الحياة** ، ١٩٧١/٤/١٤ .
٤٢ — **الحياة** ، ١٩٧١/٤/١٤ .
٤٣ — **الجريدة** ، ١٩٧١/٤/٣٠ .
٤٤ — علوش ، ناجي ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٤ ، ص ١٧٩ — ١٨١ .
٤٥ — **الانوار** ، ٨/٢٢ .
٤٦ — **الوثائق العربية** ، الجامعة الاميركية ١٩٦٦، تاريخ ١٩٦٦/٥/٧ ، ص ٢٨٦ .